جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

القراءات القرآنية

ضوابطها – مصدرها – حكمة تعددها

دكتور/رضا محمود نصار

كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالشرقية

مستلة من
حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد السابع والعشرون، لعام ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٠٨/٦١٥٧

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً وجعله حجة على العالمين إلى أن تنفطر السماء وتنكدر النجوم وتبدل الأرض غير الأرض والسموات.

وأزكى الصلاة وأعظم التسليم على الهادى البشير والسراج المنير سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ورحمة الله للعالمين.. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين..

أما بعد... فمع نزول أول نجم قرآنى على الصادق المصدوق –ﷺ– والقرآن المجيد يلقى من العناية والرعاية من المسلمين ما يعجز عنه البيان وتتقاصر دونه الأفهام.

ومن المسلمات البدهية أن القرآن المجيد ملك على المؤمنين عامة – والعلماء خاصة – قلوبهم وعقولهم, ومن ثم عكف أولوا العلم والنهى عليه تعلماً وتعليماً, وتدبراً وتفكيراً, وأحاطوا به أنفسهم, فكانت علومهم منه وبه وإليه. فكرسوا جهدهم وبذلوا عمرهم خدمة لهذا الكتاب العزيز راجين المثوبة ممن أنزله هدى ونوراً.

وإذا كانت العلوم تشرف بشرف موضوعاتها, فإن علوم القرآن هى أشرف العلوم على الإطلاق, وأولاها بالتعلم والتعليم, لأنها تتعلق بأعظم كتاب.

والقراءات من هذه العلوم ذروة سنامها وواسطة عقدها, فمعرفتها معرفة لكيفية النطق والتلاوة للقرآن المجيد والوقوف على جوانب من إعجازه وسر بيانه.

ولشرف القراءات وعظمتها يرجع إليها المفسر فى توجيه وترجيح ما يراه راجحا, ويرجع إليها الفقيه فى استنباط الأحكام وتوجيهها, ويرجع إليها اللغويون فى توجيه الإعراب... وهكذا!! لا يستغنى عنها عالم فى علمه.

وهذه لمحة موجزة أعرض فيها لبعض مفردات هذا العلم الجليل القدر, الغزير النفع... من خلال تراث علمائه الأفذاذ, الذين ورّثوا المكتبة القرآنية زاداً يذكر فتنحنى له ولهم هامات العلماء إجلالاً لقدرهم ومعرفة لمكانتهم.. وحسبهم أنهم من أهل الله وخاصته.

أسأل الله العظيم أن أكون وفقت فيما قصدت.. وأن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن العظيم ويجعلنا من أهله وخاصته.

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1].

وصلى الله وسلم وبارك على الهادى البشير والسراج المنير

سيدنا محمد ﷺ

****

[1] البقرة-٢٨٦.

تعريف القراءات

المعنى اللغوى:

القـــراءات: فـى اللغـة جمـع قراءة وهـى مصـدر قرأ قراءة, وقرآنـا. بمعنـى: تـلا تلاوة..وهـى فـى الأصـل بمعنـى الجمـع والضـم, تقول: قرأت المـاء فـى الحـوض, أى جمعتـه فيـه, وسـمى القـرآن قرآنـاً لأنـه يجمـع الآيـات والسـور ويضـم بعضـها إلـى بعض[1].

قال تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[2].

والقارئ لكل مكتوب من شأنه أن يضم أصوات الحروف لتتكون الكلمات التى ينطق بها.

المعنى الاصطلاحى:

ذكر علماء القراءات عدة تعاريف للقراءات أذكر منها.

١- عرفها الإمام الزركشى بقوله: القراءات اختلاف ألفاظ الوحى للإعجاز والبيان فى الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها[3] وعرفها الدمياطى بقوله: علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم فى الحذف والإثبات,

---

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١/ ٣ مكتبة الخانجى.

(٢) الآيتان ١٧, ١٨ سورة القيامة.

(٣) البرهان ١/ ٣١٨ ط عالم الكتب سنة ١٩٨٧.

والتحريك والتسكين, والفصل والوصل, وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره, من حيث السماع[١].

وعرفها ابن الجزرى بقوله: القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن, واختلافها منسوبة لناقلها[٢].

هذه أهم تعريفات علم القراءات.. ولعل تعريف ابن الجزرى أوفاها.. حيث اشترط النقل, والقرآن نقل إلينا كما أنزله الله تعالى على سيدنا محمد –ﷺ–. كما نقلت إلينا كيفية أدائه والنطق به كما نطق به رسول الله –ﷺ–.

ولذلك يقول ابن الجزرى: وليحذر القارئ الإقراء بما يحسن فى رأيه دون النقل, أو وجه إعراب أو لغة دون رواية[٣].

مكانة علم القراءات:

علم القراءات من أجل العلوم قدراً وأسماها منزلة.. كيف لا؟؟ وهو يتعلق بأعظم الكلام وأفضله على الإطلاق– وهو كلام الله رب العالمين– الذى أنزله هدى ونوراً ومنهجاً, وقد فضله الله تعالى على سائر الكتب المنزلة وجعله مهيمناً عليها.

قال تعالى: **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾**[٤].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر للدمياطى ٥.

(٢) منجد المقرئين لابن الجزرى ٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الآية ٤٨ سورة المائدة.

ومن ثم!! كانت تلاوة القرآن أحب الأعمال إلى الصحابة والتابعين, لا يعدلون بها شيئاً آخر مهما كان قدره.

قيل لعبد الله بن مسعود –ﷺ– إنك تقل الصوم, قال: إنى إذا صمت ضعفت عن القرآن, وتلاوة القرآن أحب إلى.

وكان أبو عبد الرحمن السلمى – التابعى الجليل – يقول: لما يروى الحديث "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[1].

هذا الذى أقعدنى مقعدى هذا, يشير إلى كونه جالساً فى المسجد الجامع بالكوفة يعلم القرآن ويقرئه مع جلالة قدره وعلو كعبه فى العلم وحاجة الناس إلى علمه, وبقى يقرئ الناس بجامع الكوفة أكثر من أربعين سنة, وعليه قرأ الحسن والحسين – ﷺ –.

وذلك إعظاما لأعظم معجزات النبى –ﷺ– لأن الله تعالى تحدى بسورة منه أفصح العرب لساناً – وأعظمهم عناداً وعتواً وإنكاراً فلم يقدروا على أن يأتوا بآية مثله.

والقرآن العظيم هو البحر العظيم الذى لا قرار له ينتهى إليه, ولا غاية لآخره يوقف عليه[2].

---

[1] رواه البخارى فى فضائل القرآن ٥٠٢٧.

[2] النشر لابن الجوزى ١/٣, ٤.

وتتجلى مكانة علم القراءات المنيفة السامقة إذا علم أنه مصدر علوم العربية وعلوم الشريعة.. يحتاج إليه المفسر والمحدث والفقيه واللغوى, يقول الإمام شهاب الدين القسطلانى:

إن القرآن ينبوع العلوم ومنشؤها, ومعدن المعارف ومبدؤها, ومبنى قواعد الشرع وأساسه, وأصل كل علم ورأسه, والاستشراف على معانيه لا يتحقق إلا بفهم رصفه ومبانيه, ولا يطمع فى حقائقها التى لا منتهى لغرائبها ودقائقها إلا بعد العلم بوجوه قراءته, واختلاف رواياته, ومن ثم صار علم القراءات من أجل العلوم النافعات, وإذا كان كل علم يشرف بشرف متعلقه فلا جرم خُصَّ أهله الذين هم أهل **الله** وخاصته بأنهم المصطفون من بريته, والمجتبون من خليقته, وناهيك بهذا الشرف الباذخ والمجد الراسخ مع ما لهم من الفضائل اللاحقة والمنازل السابقة, فمناقبهم أبداً تتلى, ومحاسنهم على طول الأمد تجلى[1].

فبالقراءات ترجح بعض الأحكام الفقهية, والأوجه التفسيرية, والقاعدة اللغوية, ومنها يتجلى الإعجاز القرآنى فى بلاغة نظمه وأسلوبه.. وتعدد القراءات للقرآن المجيد منقبة وميزة للقرآن لا مثيل لها فيما أنزل الله تعالى من كتب إلهية سابقة. وإذا كان الأمر كذلك فلا غرابة ولا عجب أن يتبوأ علم القراءات هذه المكانة وأن يسمو بهذه المنزلة الرفيعة.

---

[1] انظر لطائف الإشارات للقسطلانى ١/ ٦.

فهو عصمة من الخطأ فى أداء الكلمات القرآنية, وصيانتها من التحريف, ولم يزل العلماء يستنبطون من كل حرف معنى لايوجد فى قراءة الآخر, وهى حجة الفقهاء والمفسرين واللغويين.

****

مصدر القراءات

من الثابت أن الرسول الكريم –ﷺ– تلقى القرآن المجيد عن طريق الوحى..

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(١).

ومهمة الرسول –ﷺ– هى تبليغ ما يوحى إليه من ربه, وليس له تغيير كلمة مما يوحى إليه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(٢).

ومن الثابت المعلوم أن الصادق المصدوق –ﷺ– لا ينطق عن الهوى قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾(٣).

وإذا كانت القراءات هى النطق بألفاظ القرآن بأوجه مختلفة فهى كذلك وحى من عند الله رب العالمين..

ومن ثم فالقراءات إلهية المصدر.. وأنها وحى من الله تعالى لرسوله سيدنا محمد –ﷺ–.

---

(١) الآيات ١٩٢ – ١٩٥سورة الشعراء.

(٢) الآيتان ١٥, ١٦ سورة يونس.

(٣) الآياة ٣– ٥ سورة النجم.

ويدل على ذلك أيضاً الأحاديث المتواترة فى شأن نزول القرآن على سبعة أحرف "وهى تدل على أن القراءات من عند الله تعالى ومهمة الرسول –ﷺ– أن يبلغها كما تلقاها..

وحسبى حديثاً واحداً يؤكد هذه الحقيقة!!

فى صحيح مسلم عن أبى بن كعب قال: كنت فى المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه, ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه, فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله –ﷺ– فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه, ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه, فأمرهما رسول الله –ﷺ– فقرآ, فحسن النبى –ﷺ– شأنهما, فسقط فى نفسى من التكذيب ولا إذا كنت فى الجاهلية, فلما رأى رسول الله –ﷺ–. ما قد غشينى ضرب فى صدرى, ففضت عرقاً, وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا[1], فقال لى: "يا أبى أرسل إلىَّ أن اقرأ القرآن على حرف, فرددت إليه أن هون على أمتى, فرد إلى الثانية, اقرأه على حرفين, فرددت إليه أن هون على أمتى, فرد على الثالثة اقرأه على سبعة أحرف, ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها, فقلت: "اللهم اغفر لأمتى, اللهم اغفر لأمتى, وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم–عليه السلام–"[2].

وهكذا وضح الرسول الكريم –ﷺ– لأبى أن القراءة وحى من الله تعالى وأنه –ﷺ– يبلغهم ما يوحى إليه بشأنها.

---

[1] فرق – فرقاً –: جزع واشتد خوفه.

[2] رواه مسلم رقم ٨٢٠ وأبو داود ١٤٧٧.

وآثار بعض الصحابة الكرام تدل على ما ذكر.. فقد أثر عن عمر وعلى وابن مسعود – رضى الله عنهم – ما يدل على وجوب اتباع القراءة ذكر ابن الجزرى وابن مجاهد أثر عمر بن الخطاب – وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم..

قال عمر وزيد: القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول فاقرؤا كما علمتموه.

وعن ابن مسعود –ﷺ– قال: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"وعن على –ﷺ– قال إن رسول الله –ﷺ– يأمركم أن تقرؤا القرآن كما علمتم[1].

فكل ما صح عن النبى –ﷺ– فى ذلك وجب قبوله.. وأن كله منزل من عند الله! إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها.. واختلاف القراء كله حق وصواب نزل من عند الله, وهو كلام لا شك فيه... وقد قال غير واحد من أئمة القراء: لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلا بما قد قرئ به, لقرأت حرف كذا كذا, وحرف كذا كذا[2].

لكن.. لما كانت القراءة سنة متبعة لا يجوز العدول عنها, لم يجز واحد من أئمة القراءة أن يعدل عن حرف من القراءة الصحيحة.

ورحم الله الإمام الشاطبى حين قال:

وما لقياس فى القراءة مدخل ** فدونك ما فيه الرضا متكفلا

---

[1] انظر النشر ١/ ١٧ والسبعة لابن مجاهد ٤٦.

[2] انظر النشر ١/ ٥١.

فالقراءات توقيفية وليست اختيارية.. والعقل يمنع من القياس فى القراءات لأن قرآنية القرآن لا تثبت إلا بما يوصل إلى اليقين, والقياس لا يصول إلى يقين[1].

وعلى هذا!! فلا اجتهاد ولا قياس فى القراءات لأنها وحى منزل.

****

[1] انظر القراءات القرآنية ٩٥ دكتور/ عبد الهادى الفضلى.

حول علاقة القرآن بالقراءات

للعلماء فى العلاقة بين القرآن الكريم والقراءات ثلاثة آراء!!

١- يذكر الإمام الزركشى أنهما – أى القرآن والقراءات – حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحى المنزل على سيدنا محمد –ﷺ– للبيان والإعجاز.. والقراءات: هى اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما.. ولابد فيها – أى القراءات – من التلقى والمشافهة, لأن فيها أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة[١].

وتبعه فى هذا القول الإمام شهاب الدين القسطلانى فى "لطائف الإشارات لفنون القراءات".. وكذلك الدمياطى "إتحاف فضلاء البشر"[٢].

٢- وهناك من يرى أنهما حقيقتان بمعنى واحد, لأن القرآن مصدر مرادف للقراءة, والقراءات جمع قراءة.. فهما حقيقتان بمعنى واحد, واستند فى ذلك إلى أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف وهى تدل على أنه لا فرق بين القرآن والقراءات, فكل منهما وحى منزل على النبى –ﷺ–[٣].

٣- أن القرآن والقراءات ليسا متغايرين تغايراً تاماً, كما أنهما ليسا متحدين اتحاداً كلياً, بل بينهما ارتباط وثيق كارتباط الجزء بالكل!! وذلك لما يلى :

أ- أن القراءات لا تشمل كلمات القرآن كله, بل توجد فى بعض ألفاظه فقط..

---

(١) البرهان للزركشى ١/ ٣١٨.

(٢) انظر لطائف الإشارات ١/ ١٧١ وإتحاف فضلاء البشر ٥.

(٣) د/ محمد محيسن "فى رحاب القرآن الكريم" ٢٠٩, ٢١٠.

ب- أن تعريف القراءات يشمل المتواترة والشاذة, وقد أجمعت الأمة على عدم قرآنية القراءات الشاذة[١].

هذه الآراء الثلاثة فى العلاقة بين القرآن والقراءات!!

الإمام الزركشى لم يقصد بالتغاير التغاير التام – فلم يقل بهذا أحد من العلماء – فليس بين القرآن والقراءات تغاير تام.

يقول الزركشى: ولست فى هذا أنكر تداخل القرآن بالقراءات, إذ لابد أن يكون الارتباط بينهما وثيقاً, غير أن الاختلاف على الرغم من هذا يظل موجوداً بينهما, بمعنى أن كلاً منهما شىء يختلف عن الآخر فما القرآن إلا التركيب واللفظ.. وما القراءات إلا اللفظ ونطقه, والفرق بين هذا وذاك واضح بين[٢].

والقول بأن القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد لا فرق بينهما لم يقل به أحد من المتقدمين, ومن ثم فالقول بأنهما حقيقتان متحدتان يرد عليه بما يلى:

١- أن القراءات لا تشمل كلمات القرآن كله, بل توجد فى بعض ألفاظه فقط.

٢- أن تعريف القراءات يشمل القراءة المتواترة والشاذة, وقد أجمعت الأمة على عدم قرآنية القراءة الشاذة[٣].

والقراءة التى تفقد أهم أركانها – وهو التواتر – لا يصح أن يطلق عليها اسم القرآن, ولا تصح قراءة القرآن بها.

وعلى هذا فالقرآن والقراءات بينهما تغاير, لأن القراءة الشاذة لا يعتقد قرآنيتها, ولا تجوز القراءة بها تعبداً.

---

[١] د/ شعبان إسماعيل "القراءات أحكامها ومصدرها" ٢٣, ٢٤.

[٢] البرهان ١/ ٣١٨.

[٣] القراءات أحكامها ومصدرها ٢٣.

نشأة القراءات

متى وأين نزلت القراءات :

هل كان ذلك بمكة المكرمة قبل الهجرة, أم فى المدينة المنورة بعد الهجرة ودخول القبائل العربية فى الإسلام!!

أولاً: هناك من يرى أن القراءات نزلت بمكة المكرمة مع بداية نزول القرآن العظيم على سيدنا محمد –ﷺ–.

ودليل ذلك أن معظم سور القرآن الكريم مكى وفيها من القراءات ما فى السور المدنية, ولا دليل على نزولها بالمدينة مرة ثانية, فهذا يدل على أن القراءات نزلت بمكة المكرمة.

كما يدل على ذلك حديث اختلاف عمر بن الخطاب مع هشام ابن حكيم, لأنهما اختلفا فى قراءة سورة الفرقان وهى مكية[1].

وحديث اختلاف عمر مع هشام بن حكيم ثابت فى الصحيحين:

أن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله –ﷺ– فاستمعت لقراءته, فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله –ﷺ– فكدت أساوره فى الصلاة... وفيه فقال رسول الله –ﷺ– "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه"[2].

---

[1] فى رحاب القرآن الكريم ٢٣٣/١ دكتور/ محمد سالم محيسن.

[2] رواه البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم.

فإذا كان الاختلاف فى قراءة سورة مكية فهذا يدل على أن القراءات نزلت بمكة المكرمة.

ثانياً: هناك من يرى أنها نزلت فى المدينة المنورة بعد الهجرة, ودخول كثير من الناس فى الإسلام على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم, فكان من التيسير على الأمة أن تقرأ القرآن على أوجه متعددة.. ولم تكن الحاجة إلى القراءات إلا بعد الهجرة, كذلك كان اختلاف الصحابة فى القراءات بالمدينة ولم يكن بمكة..

والدليل على ذلك ما جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى بن كعب –رضي الله عنه– أن النبى –ﷺ– كان عند أضاة بنى غفار فأتاه جبريل فقال: "إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته, وإن أمتى لا تطيق ذلك, ثم أتاه الثانية. فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على حرفين, قال:أسأل الله معافاته ومغفرته, وإن أمتى لا تطيق ذلك, ثم جاء الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على ثلاثة أحرف قال: أسأل الله معافاته ومغفرته, وإن أمتى لا تطيق ذلك, ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على سبعة أحرف, فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا[1].

وأضاة بنى غفار ماء بالقرب من المدينة – وهذا يدل على نزول القراءات بالمدينة – وذهب إليه كثير من العلماء[2].

من خلال عرض الرأيين يمكن الجمع بينهما:

---

[1] رواه مسلم ٦/ ١٠٣ وذكره ابن جرير فى جامع البيان ١/ ١٥.

[2] انظر: القراءات أحكامها ومصادرها ٨٥ "والتعريف بالقرآن والحديث" د/ محمد الزفزاف ٣٨

أن بداية نزول القراءات كان مع بداية نزول القرآن الكريم بمكة المكرمة, فالقراءات فى السور المكية والمدنية على السواء, لكن!! الحاجة لم تكن ماسة أو داعية لاستخدام هذه القراءات لوحدة اللغة واللهجة بمكة وما جاورها, خلافاً لما حدث بعد الهجرة حيث دخلت فى الإسلام قبائل مختلفة اللهجات واللغات, فكان ورود حديث أبى بن كعب إشعاراً للإذن فقط(١).

فالقراءات نزلت مع نزول القرآن بمكة لكنها لم تستخدم فى مكة لوحدة اللسان, ولما احتيج إليها بالمدينة لتعدد اللهجات استخدمت.

****

(١) د/ سيد رزق الطويل "فى علوم القراءات" ٣٤.

ضوابط القراءة الصحيحة

وضع علماء القراءات ضوابط للقراءة حتى تكون صحيحة ومقبولة.. وهذه الضوابط هى :

١- التواتر.

٢- موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

٣- أن تكون موافقة لوجه من أوجه اللغة العربية.

يقول مكى بن أبى طالب:

القراءة الصحيحة ما صح سندها إلى النبى –ﷺ– وساغ وجهها فى العربية, ووافقت خط المصحف[١].

ويقول ابن الجزرى:

وكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالاً يحوى

وصح إسناداً هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه فى السبعة[٢]

---

[١] الإبانة ٣٩.

[٢] طيبة النشر ٣.

بيان الأركان الثلاثة :

أولاً : التواتر :

اشتراط التواتر فى قبول القراءة هو ما ذهب إليه جمهور العلماء, فقد اتفقوا على أن من ضوابط القراءة الصحيحة أن تكون متواترة, ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر.

وقد ذكر العلماء أن مكى بن أبى طالب لا يشترط التواتر.. حيث قال فى الإبانة القراءة الصحيحة ما صح سندها إلى النبى –ﷺ– وساغ وجهها فى العربية ووافقت خط المصحف.

لكن!! من يتأمل تقسيمه للقراءات يرى أنه يشترط التواتر. فقد قال فى القسم الأول: قسم يقرأ به اليوم وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال... "أن بنقل الثقات إلى النبى –ﷺ–[1].. فقوله ينقل الثقات – بالجمع – يدل على اشتراطه التواتر.

كذلك الإمام ابن الجزرى فقد اكتفى بصحة السند ولم يشترط التواتر.. لكنه قال بالتواتر ورجع عن رأيه وقد صرح بذلك فى قوله: ولقد كنت أجنح إلى هذا القول – أى عدم اشتراط التواتر – ثم ظهر فساده وقال باشتراط التواتر[2].

أما قوله فى طيبة النشر.. وصح إسناداً هو القرآن فإنه لايدل على عدم اشتراطه للتواتر لأن صياغة النظم –الشعر– تختلف عن صياغة النثر, فالشعر يضبطه الوزن والقافية, ولعل قوله هذا ليستقيم البيت وزناً وقافية.

---

[1] الإبانة ٣٩.

[2] انظر النشر ١/ ١٣.

فالقول بعدم اشتراط التواتر – كما يقول النويرى: قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم... ولقد ضل قوم بسبب هذا القول فصاروا يقرءون القرآن بأحرف لا يصح سندها أصلاً[1].

ثانياً: موافقة القراءة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.. والمراد بهذا الضابط فى القراءة الصحيحة أن تكون القراءة موافقة لأحد المصاحف التى نسخها الخليفة الراشد عثمان بن عفان –رضي الله عنه– وأرسل كل مصحف منها إلى أحد الأمصار الإسلامية.

فلابد أن تكون القراءة موافقة لواحد من هذه المصاحف ولو احتمالاً وقول العلماء "ولو احتمالاً" يراد به ما يوافق الرسم ولو تقديراً, فموافقة القراءات للرسم قد تكون تقديراً واحتمالاً كقراءة "ملك يوم الدين" فى سورة الفاتحة حيث كتبت فى جميع المصاحف بدون ألف وتقرأ بإثبات الألف.. وقراءتها بحذف الألف "ملك" توافق الرسم تحقيقاً... وقراءتها بالألف محتملة تقديراً.. والألف تحذف فى الكتابة اختصاراً كما فى أسماء الأفعال "قادر" و"صالح" وما إلى ذلك[2].

ثالثاً: موافقة القراءة لوجه من وجوه اللغة العربية.. يريدون وجهاً من وجوه قواعد اللغة سواء أكان أفصح أم فصيحاً, مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله, إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاها الأئمة بالإسناد الصحيح, وهذا هو المختار عند المحققين[3].

---

(1) انظر شرح طيبة النشر ١/ ١١٩.

(2) انظر النشر ١/ ١١, ١٢ وإتحاف فضلاء البشر ١٠.

(3) مناهل العرفان ١/ ٣٤٢.

قال أبو عمرو الدانى: وأئمة القراء لا تعتمد فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية, بل على الأثبت فى الأثر, والأصح فى النقل والرواية, وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها[١].

إن علماء النحو إنما استمدوا قواعده من كتاب الله تعالى وكلام رسوله –ﷺ– وكلام العرب, فإذا ثبتت قرأنية القرآن بالرواية المقبولة كان القرآن هو الحكم على علماء النحو, وما قعدوا من قواعد, ووجب أن يرجعوا هم بقواعدهم إليه, لا أن نرجع نحن بالقرآن إلى قواعدهم المخالفة نحكمها فيه وإلا كان ذلك عكساً للآية وإهمالاً للأصل فى وجوب الرعاية[٢].

ومثال الموافقة للغة قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾[٣].

قرأ الإمام حمزة كلمة "الأرحام" بالجر عطفاً على الضمير المجرور فى "به"وهذا على مذهب الكوفيين, أو على إعادة الجار ولكنه حذف للعلم به, وقرأ الباقون بالنصب عطفاً على لفظ الجلالة "الله"[٤].

فقراءة حمزة صحيحة ولا قدح فيها من حيث اللغة.. والقراءة متى كانت صحيحة لا يردها قياس عربية لأن القراءة سنة متبعة.

****

(١) انظر النشر ١/ ١٠.
(٢) مناهل العرفان ١/ ٣٤٣.
(٣) الآية ١ سورة النساء.
(٤) اتحاف فضلاء البشر ١/ ٥٠١.

اختلاف القراءات

ذكر القاضى أبو بكر الباقلانى قوله:

تدبرت وجوه الاختلاف فى القراءة فوجدتها سبعة:

١- منها ما تتغير حركته ولا يزول معناه وصورته, مثل ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[١] بضم الراء وإسكانها فى "أطهر".

٢- منها ما لا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب كقوله تعالى ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[٢] باعد بصيغة الأمر والماضى.

٣- منها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف كقوله تعالى ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾[٣] بالزاى وبالراء "ننشرها".

٤- منها ما تتغير صورته ويبقى معناه كقوله تعالى ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾[٤] و"كالصوف المنقوس" فصورة الكلمة متغيرة لكن المعنى واحد لم يتغير.

٥- منها ما تتغير صورته ومعناه كقوله تعالى ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾[٥] "وطلع" بالعين, فالصورة متغيرة وكذلك المعنى.. فالطلح المنضود شجر الموز الذى نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه.. وهو خلاف "الطلع".

---

(١) الآية ٧٨ هود.

(٢) الآية ١٩ سبأ.

(٣) الآية ٢٥٩ البقرة.

(٤) الآية ٥ القارعة.

(٥) الآية ٢٩ الواقعة.

٦- التقديم والتأخير كقوله تعالى ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[١] "وجاءت سكرة الحق بالموت" بتقديم الحق على الموت.

٧- الزيادة والنقصان كقوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[٢] بزيادة "أنثى".

وذكر أبو حاتم السجستانى قوله:

تدبرت الوجوه التى تتخالف فيها لغات العرب فوجدتها على سبعة أنحاء, لا تزيد ولا تنقص وبجميع ذلك نزل القرآن.

١- إبدال لفظ بلفظ آخر بمنزلته مثل ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٣] "فامضوا إلى ذكر الله" والمعنى واحد.

٢- إبدال حرف بحرف بمنزلته مثل "التابوت" "التابوه".

٣- التقديم والتأخير فى الكلمة أو فى الحروف "فيقتلون ويقتلون" قد تقدم إحداهما على الأخرى. ومثال التقديم فى الحروف "أفلم ييأس" "أفلم يأيس".

٤- زيادة حرف أو نقصانه نحو ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾[٤] الهاء فى ماليه وسلطانيه تسمى هاء السكت وهى زائدة.. ومنهم من يسقط **بعض** الحروف نحو ﴿يَا مَالِ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [٥] بإسقاط الكاف من كلمة "مالك".. ومثاله فى اللغة يا صاح أى يا صاحب.

---

(١) الآية ١٩ ق.

(٢) الآية ٢٣ ص وانظر نكت الانتصار للباقلانى ١٢٠ وما بعدها.

(٣) الآية ٩ الجمعة.

(٤) الآية ٢٨, ٢٩ الحاقة.

(٥) الآية ٧٧ الزخرف.

٥- اختلاف حركات البناء مثل "البخل" بضم الباء وفتحها.

٦- اختلاف الإعراب مثل ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾[١] "ما هذا بشر" بالنصب والرفع.

٧- إشباع الصوت بالتفخيم والإظهار... وتختلف مذاهب العرب فى الإدغام والإظهار فى كثير من الحروف[٢].

لكن ابن الجوزى رد "هذه الأنواع السبعة إلى ثلاثة :

١- اختلاف اللفظ والمعنى واحد "الصراط" بالصاد والسين.

٢- اختلاف اللفظ والمعنى مع جواز اجتماعهما فى شىء واحد مثل "ننشزها" بالزاى والراء[٣].

٣- اختلاف اللفظ والمعنى وعدم اجتماعهما فى شىء واحد, إلا أنه اختلاف تنوع وتغاير, لا تضاد ولا تناقض.

مثل ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾[٤] بالتخفيف والتضعيف فى "كذبوا" فالظن على قراءة التضعيف بمعنى اليقين, والضمائر الثلاثة للرسل, فيكون المعنى. وتيقن الرسل أن أقوامهم قد كذبوهم فى رسالاتهم.

والظن على قراءة التخفيف بمعنى الشك, والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم – وهم أقوام الرسل – أى وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أمروهم به.

---

(١) الآية ٣١ يوسف.

(٢) انظر الأحرف السبعة د. حسن عتر ١٤٨ وما بعدها.

(٣) الإنشاز الإحياء.. والإنشاز: التحريك للنقل والحياة حركة فلا فرق بينهما انظر لسان العرب مادة نشز.

(٤) الآية ١١٠ يوسف.

وعلى هذا لا تضاد ولا تناقض وإن امتنع اجتماعهما فى شىء واحد[١] ومن ثم!! فإن اختلاف القراءات إنما هو اختلاف تنوع وتغاير, وليس اختلاف تعارض وتناقض, فإن هذا لا يتصور فى كلام عقلاء البشر فكيف بكلام رب البشر؟

إن التناقض والتعارض والتضارب يتنزه عنه القرآن المجيد قال الله تعالى: **﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾**[٢].

كما أن التناقض فى القول دليل على بطلانه وقد قال الله تعالى فى شأن القرآن المجيد: **﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**[٣].

كما أن التناقض لا يجتمع أبداً مع الوصف الإلهى للكتاب العزيز فى قوله تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾**[٤].

والروايات المعتمدة التى قرئ بها النص القرآنى قد ثبتت بطريق التواتر الذى لا شك فيه, وقطع بنسبتها إلى مصدرها الأصلى وهو الرسول –ﷺ– بتلقى الصحابة لها مشافهة عنه –ﷺ– ونقلها عن الصحابة سماعاً التابعون, ونقلها عن التابعين أتباعهم, وهكذا إلى أن وصلت إلينا [٥].

****

---

[١] انظر النشر ١/ ٤٩, ٥٠.

[٢] الآية ٨٢ سورة النساء.

[٣] الآية ٤٢ سورة فصلت.

[٤] الآيات ١٩٢– ١٩٥ سورة الشعراء.

[٥] النشر ١/ ٢٩.

أنواع القراءات من حيث السند

ذكر العلماء أن أنواع القراءات ستة:

الأول: المتـواتر: وهو ما نقله جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه– وهذا هو الغالب فى القراءات.

الثانى: المشهور: وهو ما صح سنده بأن رواه العدل الضابط عن مثله وهكذا, ووافق العربية, ووافق أحد المصاحف العثمانية سواء أكان عن الفراء السبعة أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ, إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر, وذلك كالقراءة التى اختلف فى نقلها عن السبعة فرواها بعض الرواة عنهم دون بعض, فيقرأ بهذين النوعين مع وجوب اعتقادهما, ولا يجوز إنكار شىء منهما.

ومن أشهر ما صنف فيهما التيسير للدانى, والشاطبية للشاطبى, وطيبة النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى.

وهذان النوعان هما اللذان يقرأ بهما مع وجوب اعتقادهما ولا يجوز إنكار شىء منهما.

الثالـث: الآحـاد: أو الصحيح.. وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية ولم يشتهر الاشتهار المذكور, وهذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده.

ومثاله ما رواه الحاكم عن أبى بكرة أن النبى –ﷺ– قرأ ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[1].

ومنه ما روى عن ابن عباس أنه قرأ ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفَسِكُمْ﴾[2] بفتح الفاء.

الرابع: الشاذ: وهو ما لم يصح سنده, كقراءة ابن السميفع ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾[3] بالحاء المهملة "تنحيك" وفتح لام "خلفك.. وقراءة "ملك يوم الدين" بصيغة الماضى ونصب يوم.

الخامس: الموضوع: وهو ما نسب إلى قائله من غير أصل.

السادس: الشبيه بالمدرج: وهو ما يشبه المدرج من أنواع الحديث, أى هو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير, كقراءة سعد بن أبى وقاص ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ من أمه﴾[4] بزيادة لفظ "من أمه".

وقراءة ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فى مواسم الحج﴾[5] بزيادة لفظ "فى مواسم الحج".

---

(1) الآية ٧٩ سورة الرحمن.

(2) الآية ١٢٨ سورة التوبة.

(3) الآية ٩ سورة يونس.

(4) الآية ١٢ سورة النساء.

(5) الآية ١٩٨ سورة البقرة.

وقراءة الزبير **﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ, ويستعينون بالله على ما أصابهم﴾**[1] بزيادة لفظ ويستعينون بالله على ما أصابهم.

وإنما كان شبيهاً بالمدرج, ولم يكن مدرجاً لأنه وقع فيه خلاف.

قال عمر –ﷺ–: فما أدرى أكانت قراءته –يعنى ابن الزبير – أم فسر وكان الحسن يقرأ "وإن منكم إلا واردها. الورود: الدخول.. قوله: الورود الدخول: تفسير من الحسن لمعنى الورود, وغلط فيه بعض الرواة فأدخله فى القرآن.

وبعد أن ذكر ابن الجزرى هذه الأنواع للقراءات من حيث السند قال: وربما كانوا يدخلون التفسير فى الكلام أيضاحاً لأنهم متحققون لما تلقوه عن رسول الله –ﷺ– قرآناً فهم آمنون من الالتباس [2].

****

[1] الآية ١٠٤ سورة آل عمران.

[2] انظر الإتقان ١/ ٢٤١ والنشر ١/ ٢٦ وما بعدها.
ومنجد المقرئين ١٥ وما بعدها ومناهل العرفان ١/ ٣٤٩, ٣٥٠.

أقسام القراءات من حيث التواتر

قسم العلماء القراءات من حيث التواتر وعدمه إلى ثلاثة أقسام.

١- قسم متفق على تواتره, ولا خلاف بين العلماء عليه, وهو قراءات الأئمة السبعة.

٢- قسم مختلف فيه, والصحيح المشهور أنه متواتر, وهو قراءة الأئمة الثلاثة أبو جعفر ويعقوب وخلف العاشر.

٣- قسم متفق على شذوذه, وهو ما زاد على العشرة[١].

والأدلة على تواتر قراءة الأئمة العشرة كثيرة.

١- أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف, وأحاديث نزوله على سبعة أحرف متواترة تواتراً يفيد العلم والقطع بأن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

٢- يقول ابن الجزرى: القراءات السبع التى اقتصر عليها الشاطبى والثلاث التى هى قراءة أبى جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة, وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة, أنه منزل على رسول الله -ﷺ- لا يكابر فى شىء من ذلك إلا جاهل, وليس تواتر شىء من ذلك مقصوراً على من قرأ بالروايات, بل هى متواترة عند كل مسلم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله, ولو كان مع ذلك عامياً لا يحفظ من القرآن حرفاً, وحظ كل مسلم وحقه أن يدين الله تعالى

---

[١] انظر إتحاف فضلاء البشر ٩.

وتجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين, لا تتطرق الظنون ولا الريب إلى شيء منه[1].

ويقول القرطبى فى جامعه: وقد أجمع المسلمون فى جميع الأمصار على الاعتقاد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما رووه ورأوه من القراءات وكتبوا فى ذلك مصنفات, واستمر الإجماع على الصواب, وحصل ما وعد الله من حفظ الكتاب, وعلى هذا الأئمة المتقدمون والفضلاء المحققون كابن جرير الطبرى والقاضى أبى بكر بن أبى الطيب وغيرهما[2].

****

(1) النشر ١/ ٤٤ وما بعدها.

(2) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٦.

حكمة اختلاف القراءات

لاختلاف القراءات حكم جليلة وفوائد جمة. وتنوع القراءات كما يقول الإمام ابن الجزرى: يقوم مقام تعدد الآيات, وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز, وينتهى إلى كمال الإعجاز, والقراءات كلها معجزة, والتحدى قائم بكل حرف من تلك الحروف, وبذلك تتعدد المعجزات بتعددها..

وقد ذكر – رحمه الله – من الحكم فى اختلاف القراءات ما يلى[1]:

١- فيها دليل قاطع على أن القرآن العظيم كلام الله رب العالمين قال تعالى : **﴿الم. تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِين. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾**[2].

٢- فيه برهان ودلالة قاطعة على صدق الرسول –ﷺ– فمع تعدد القراءات وتنوع أدائها بلغها الرسول –ﷺ– كما أنزلت بقوله –ﷺ– "هكذا أنزلت" كما فى الحديث الصحيح.

٣- فى اختلاف القراءات التيسير على الأمة فى أمر القراءة, والتخفيف عنها, حيث روعى اختلاف اللغات واللهجات, وكذلك جميع الفئات – الشيخ الكبير والطفل الصغير والمرأة العجوز ومن لم يقرأ كتاباً قط – وهذه من أجل الحكم وأعظمها.

---

[1] انظر النشر ١/ ٢٨, ٢٩ ومناهل العرفان ١/ ١٢٥.

[2] الآيات ١– ٣ سورة السجدة.

٤- فى اختلاف القراءات سهولة للحفظ وتيسير للنقل, فحفظ كلمة ذات وجوه متعددة أيسر من حفظ جمل من الكلام على وجه واحد.

٥- كما أن فى اختلاف القراءات دليل على عظمة هذه الأمة حيث تلقت القرآن العظيم بالحروف المختلفة ووعتها, وأحكمت ضبطها وهى منقبة عظيمة لهذه الأمة وميزة كبرى تنفرد بها عن سائر الأمم.

٦- الدلالة على حكمين شرعيين فى حالين مختلفين.. وهذا إعجاز للقرآن كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾[1] فكلمة "أرجلكم" قرئت بالنصب والجر, فقراءة النصب تدل على وجوب الغسل والجر على جواز المسح.

٧- اختلاف القراءات له تأثير فى الأحكام الفقهية.. وبيان ذلك:

أ- قد تجمع بين حكمين مختلفين كقراءة ﴿وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾[2] بالتخفيف والتضعيف فى "يطهرن" فقراءة التخفيف تدل على أصل الطهارة, وهذا يتحقق بانقطاع الحيض.. وقراءة التضعيف تدل على تأكيد الطهارة بالاغتسال.

---

[1] الآية ٦ سورة المائدة.

[2] الآية ٢٢٣ سورة البقرة.

ب- اختلاف القراءة قد ترجح حكماً مختلفاً فيه كقوله تعالى فى الكفارة ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ. مؤمنة﴾[1] بزيادة مؤمنة – وهى قراءة شاذة – وكون الرقبة مؤمنة شرط عند الإمام الشافعى.

ج- قد تبين حكماً مجمعاً عليه كما فى قراءة ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ. من أم﴾[2] بزيادة "من أم" وكون الأخوة من أم أمر مجمع عليه.

٨- فى اختلاف القراءات سند لقواعد نحوية وصرفية كما فى قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾[3] بالنصب والجر فى "الأرحام" فقراءة النصب عطفاً على لفظ الجلالة "الله" وقراءة الجر عطفاً على الضمير فى "به".

٩- فى اختلاف القراءات حجة لأهل الحق, ودفع لأهل الأهواء والزيغ كما فى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾[4] ففى "ملكاً" قراءتان: إحداهما بضم الميم وسكون اللام. والأخرى بفتح الميم وكسر اللام "ملكاً" وفيها دليل على رؤية الله تعالى فى الآخرة.

١٠- فى اختلاف القراءات تمثيل للغات واللهجات المختلفة, وبذلك حفظت القراءات اللغة العربية من الاندثار, فالقرآن والقراءات مِنَّة عظمى على اللغة وأهلها.

---

(١) الآية ٨٩ سورة المائدة.

(٢) الآية ١٣ سورة النساء وزيادة "من أم" شاذة.

(٣) الآية ١ سورة النساء.

(٤) الآية ٢٠ سورة الإنسان.

١١- فيها بيان المجمل وتوضيح المبهم, ودفع توهم ما ليس مراداً كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[١] قرئ "فامضوا إلى ذكر الله" وهى وإن كانت غير متواترة إلا أنها تبين معنى القراءة المتواترة, فليس المراد من السعى المشى السريع.

١٢- فى القراءات دلالة على صيانة القرآن المجيد وحفظه من التبديل والتحريف مع كونه مشتملاً على أوجه وحروف كثيرة, قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢].

هذه الحكم الجليلة تظهر عظمة القرآن المجيد, وأنه كتاب شاء الله تعالى أن يحفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها وحفظه فى الصدور والسطور بيسر وسهولة دليل على علو شأنه وسمو منزلته وسيظل محفوظاً بحفظ الله رب العالمين.

يقول الرافعى: نزل القرآن على رسول الله –ﷺ– بأفصح ما تسمو إليه لغة العرب فى خصائصها العجيبة وما تقوم به كما هو السبب فى جزالتها ودقة أوضاعها وإحكام نظمها واجتماعها من ذلك على تأليف صوتى فى التركيب, والتناسب بين أجراس الحروف, والملاءمة بين طبيعة المعنى وطبيعة الصوت الذى يؤديه.. فكان مما لابد منه أن يكون القرآن أملك بهذه الصفات كلها, وأن يكون ذلك التأليف أظهر الوجوه التى نزل عليها, ثم ان تتعدد فيه مناحى هذا التأليف تعدداً يكافئ الفروع اللسانية التى سبقت بها فطرة اللغة فى العرب, حتى يستطيع

---

[١] الآية ٩ سورة الجمعة.

[٢] الآية ٩ سورة الحجر.

كل عربى أن يوقع بأحرفه وكلماته على لحنه الفطرى, ولهجة قومه توقيعاً يطلق من نفسه الأصوات التى يشيع بها الطرب فى هذه النفس... ذلك هو السبب الذى من أجله اختلفت بعض ألفاظ القرآن فى قراءتها وأدائها اختلافاً صح جميعه عن رسول الله –ﷺ– وصحت قراءته, وهو كان أعلم العرب بوجوه لغاته.. وأن القرآن لو نزل على وجه واحد ما كان بضائره شيئاً وهو ما هو إحكاماً وإبداعاً[1].

****

[1] الرافعى "إعجاز القرآن" ٤٦, ٤٧ باختصار.

القراء السبعه وسبب شهرتهم

يرجع عهد القراء الذين أقام الناس على طرائقهم فى التلاوة إلى عهد الصحابة رضى الله عنهم – فقد اشتهر بالإقراء منهم سبعة: عثمان وعلى وأبى وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعرى, وعنهم أخذ كثير من الصحابة – رضى الله عنهم – والتابعين فى الأمصار, وكلهم يسند إلى رسول الله –ﷺ– فلما كان أواخر عصر التابعين فى المائة الأولى تجرد قوم واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية لما رأوا من المساس إلى ذلك بعد اضطراب السلائق, وجعلوها علماً كما فعلوا يومئذ بالحديث والتفسير, فكانوا فيها الأئمة الذين يرحل إليهم ويؤخذ عنهم ثم اشتهر منهم ومن الطبقة التى تلتهم أولئك الأئمة السبعة الذين تنسب إليهم القراءات إلى اليوم وقراءة هؤلاء الأئمة هى المتفق عليها إجماعاً, ولكل منهم سند فى روايته, وطريق الرواية عنه[1].

والأئمة السبعة هم :

١- أبو عمرو بن العلاء شيخ الرواة المتوفى سنة ١٥٤هـ.

٢- عبد الله بن كثير المتوفى سنة ١٢٠هـ.

٣- نافع بن نعيم المتوفى سنة ١٦٩هـ.

٤- عبد الله بن عامر اليحصبى المتوفى سنة ١١٨هـ.

٥- عاصم بن بهدلة الأسدى المتوفى سنة ١٢٨هـ.

٦- حمزة بن حبيب الزيات العجلى المتوفى سنة ١٥٦هـ.

---

[1] إعجاز القرآن ٥١.

٧- على بن حمزة الكسائى إمام النحاة الكوفيين المتوفى سنة ١٨٩هـ.

لكن!! لماذا اشتهر هؤلاء القراء دون غيرهم؟

١- يقول مكى بن أبى طالب :

فإن سأل سائل فقال: ما العلة التى من أجلها اشتهر هؤلاء السبعة بالقراءة دون من هو فوقهم فنسبت إليهم السبعة الأحرف مجازاً, وصاروا أشهر من غيرهم ممن هو أعلى درجة منهم وأجل قدراً؟

فالجواب: أن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا فى العصر الثانى والثالث كثيراً فى العدد, كثيراً فى الاختلاف, فأراد الناس فى العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التى توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به, فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة فى النقل وحسن الدين وكمال العلم قد طال عمره واشتهر أمره بالثقة وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل, وثقته فيما قرأ وروى, وعلمه بما يقرأ, فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم, فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفاً إماماً هذه صفته وقراءته على مصحف ذلك المصر.

فكان أبو عمرو من أهل البصرة.. وحمزة وعاصم من أهل الكوفة والكسائى من أهل العراق.. وابن كثير من أهل مكة. وابن عامر من أهل الشام.. ونافع من أهل المدينة. كلهم ممن اشتهرت أمانته, وطال عمره فى الإقراء وارتحال الناس إليه من البلدان[١].

[١] انظر الإبانة عن معانى القراءات ٩٧, ٩٨.

٢- يقول الدمياطى:

ليعلم أن السبب الداعى إلى أخذ القراءة عن القراء المشهورين دون غيرهم: أنه لما كثر الاختلاف فيما يحتمله رسم المصاحف العثمانية التى وجه بها عثمان – ﷺ– إلى الأمصار وحبس بالمدينة واحداً, وأمسك لنفسه واحداً الذى يقال له الإمام, فصار أهل البدع والأهواء يقرءون بما لا يحل تلاوتهم وفاقاً لبدعتهم, أجمع رأى المسلمين أن يتفقوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم, فاختاروا من كل مصر وجه إليها مصحف[١] أئمة مشهورين بالثقة والأمانة فى النقل وحسن الدراية وكمال العلم, أفنوا عمرهم فى القراءة والإقراء, واشتهر أمرهم, وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم, ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم[٢].

٣- ويذكر الطبرسى فى مجمع البيان سبب اجتماع الناس على قراءة هؤلاء, بأن ذلك يرجع لسببين.

الأول: أنهم تجردوا لقراءة القرآن, واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم.

الثانى: أن قراءتهم وجدت مسندة لفظاً وسماعاً, حرفاً حرفاً من أول القرآن الكريم إلى آخره, مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن الكريم[٣].

ومن ثم!! فإن السبب فى شهرة هؤلاء القراء التى تمتعوا بها واعتمد عليهم فى القراءات هو الحفظ والإتقان وأداء الحرف القرآنى أداء أميناً كما تلقوه فضلاً عن عدالتهم وأمانتهم وورعهم.

---

(١) الأمصار التى وجه إليها المصاحف هى الشام واليمن والبصرة والكوفة ومكة والبحرين.

(٢) إتحاف فضلاء البشر ٥, ٦.

(٣) مجمع البيان للطبرسى ١/ ٢٥.

فكان كل واحد منهم واحد عصره بلا منازع, فمع ديانته وعلمه بالقراءات رفيع الأدب ثاقب الفطنة.

وثم سؤال: لم جعل القراء الذين اختيروا للقراءة سبعة؟ ألا كانوا أكثر أو أقل ؟

ذكر مكى بن أبى طالب – رحمه الله – هذا السؤال وأجاب عنه أن ذلك يرجع لأمرين :

الأول: أن عثمان –رضي الله عنه– كتب سبعة مصاحف, ووجه بها إلى الأمصار, فجعل عدد القراء على عدد المصاحف.

الثانى: أن عددهم على عدد الحروف التى نزل بها القرآن الكريم, وهى سبعة على أنه لو جعل عددها أكثر أو أقل لم يمنع ذلك أن عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى... والأصل الذى يعتمد عليه فى هذا: أن ما صح سنده واستقام وجهه فى العربية, ووافق لفظه خط المصحف فهو من السبعة المنصوص عليها ولو رواه سبعون ألف متفرقين أو مجتمعين.

فهذا هو الأصل الذى بنى عليه قبول القراءات[1].

****

[1] الإبانة ١٠٢, ١٠٣.

الخاتمة

من خلال هذا العرض لبعض مفردات علم القراءات تتجلى الحقائق التالية :

١- أن علم القراءات نشأ مع نزول القرآن المجيد فى مكة المكرمة وأنه استعمل فى المدينة للحاجة إليه بعد دخول كثير من القبائل العربية فى الإسلام.

٢- أن العلاقة بين القرآن العظيم وبين القراءات علاقة وثيقة لاتنفصم.

٣- أن القراءات القرآنية ربانية المصدر, فمصدرها الوحى الإلهى لأن القراءات أبعاض القرآن.

٤- أن القراءات التى يقرأ بها ويتعبد بتلاوتها هى القراءات المشهورة عن الأئمة الثقات.. أما الشاذة فلا يعتد بها وليست من القرآن فى شىء.

٥- أن اختلاف القراءات له حكم جليلة القدر.. فلو كان القرآن على حرف واحد لكان فى ذلك مشقة على الأمة.

٦- قيض الله تعالى لهذا العلم الجليل رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقعدوا أصوله وضبطوا فروعه.

٧- أن المشهورين من القراء – وهم السبعة – الذين اشتهروا بالقراء تلقوا قراءتهم عمن قبلهم يصلون بذلك إلى رسول الله –ﷺ– وتوفرت أسباب شهرتهم على غيرهم..

٨- يذكر بالإجلال والتعظيم ما تركه علماء القراءات وما دونوه فى هذا العلم من تراث يرجع إليه الباحثون والدارسون فى هذا العلم الجليل.

المراجع

١- الإبانة عن معانى القراءات, مكى بن أبى طالب القيسى ط دار المأمون للتراث ١٩٨٥م -١٤٠٥هـ.

٢- اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر – الدمياطى البنا ط عالم الكتب ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٣- الإتقان فى علوم القرآن – جلال الدين السيوطى ط دار ابن كثير ١٤٠٧هـ.

٤- إعجاز القرآن – مصطفى صادق الرافعى – دار الكتاب العربى.

٥- البرهان فى علوم القرآن- شهاب الدين الزركشى ط البابلى الحلبى.

٦- جامع البيان فى تأويل القرآن – ابن جرير الطبرى دار المعرفة.

٧- الجامع لأحكام القرآن – محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ط دار الكتب ١٣٧٢هـ.

٨- شرح طيبة النشر فى القراءات العشر – أبو القاسم النويرى – ط المطابع الأميرية ١٤٠٦هـ.

٩- صحيح البخارى – الإمام أبو عبد الله البخارى.

١٠- صحيح مسلم – الإمام مسلم بن الحجاج.

١١- طيبة النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى دار الكتب ١٣٦٩هـ.

١٢- فى رحاب القرآن الكريم د/ محمد سالم محيسن – مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٠هـ.

١٣- فى علوم القراءات د/ السيد رزق الطويل – المكتبة الفيصلية ١٤٠٥هـ.

١٤- القراءات أحكامها ومصدرها د/ شعبان محمد إسماعيل ط ١٤٠٢هـ, رابطة العالم الإسلامى.

١٥- القراءات القرآنية د. عبد الهادى الفضلى – دار المجمع العلمى ١٣٩٩هـ.

١٦- لطائف الإشارات لفنون القراءات – شهاب الدين القسطلانى ط ١٣٩٢هـ لجنة إحياء التراث.

١٧- مجاز القرآن – معمر بن المثنى – مكتبة الخانجى.

١٨- مناهل العرفان فى علوم القرآن – الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ط دار الكتاب العربى.

١٩- منجد المقرئين ومرشد الطالبين – لابن الجزرى- دار الكتب العلمية ١٤٠٠هـ.

٢٠- النشر فى القراءات العشر – لابن الجزرى ط دار الفكر.

****

الفهـرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
المقدمـــة.....	٣
تعريف القراءات.....	٥
مكانة علم القراءات.....	٦
مصدر القراءات.....	١٠
علاقة القرآن بالقراءات.....	١٤
نشأة القـراءات.....	١٦
ضوابط القراءة الصحيحة.....	١٩
اختلاف القراءات.....	٢٣
أنواع القراءات من حيث السند.....	٢٧
أقسام القراءات من حيث التواتر.....	٣٠
حكمة اختلاف القراءات.....	٣٢
القراء السبعة وسبب شهرتهم.....	٣٧
الخاتمـة.....	٤١
المراجـع.....	٤٢
الفهـرس.....	٤٤